٩٤

للادب مستوجبا الذم لان فراق المالوف في العادة ومجانبة ما
صار متفقا عليه بالمواضعة مفض الى استحقاق الذم بالعقل
ما لم تكن مخالفته عليه ظاهرة ومعنى حادثا وقد كان جائزا
في العقل ان يوضع ذلك على غير ما اتفقوا عليه فيرونه
حسنا ويرون ما سواه قبيحا فصار هذا متاركا لما وجب بالعقل
من حيث توجه الذم على تاركه ومخالفا له من حيث انه كان جائزا
في العقل ان يوضع على خلافه واما ادب الرياضة والاستصلاح
فهو ما كان محمولا على حال لا يجوز في العقل ان يكون خلافها
ولا ان تختلف العقلا في صلاحها وفسادها وما كان كذلك فتعليله
بالعقل مستنبط ووضوح صحته بالدليل مرتبط وللنفس على ما تاتي
من ذلك شاهد الهمها الله اياه ارشادا لها قال الله تعالى فالهمها
فجورها وتقواها قال ابن عباس بين لها ما تاتي من الخير وتذر
من الشر وسنذكر تعليل كل شي في موضعه فانه اولى به
واحق به فاول مقدمات ادب الرياضة والاستصلاح ان لا
يسبق الى حسن الظن بنفسه فيخفى عنه مذموم شيمته ومساوي
اخلاقه لان النفوس بالشهوات امرة وعن الرشد زاجرة وكما
قال الله تعالى ان النفس لامارة بالسوء قال النبي صلى الله عليه وسلم
اعدى عدوك نفسك التي بين جنبيك ثم اهلك ثم عيالك وقد دعت
اعرابية لرجل فقالت كبت الله كل عدو لك الا نفسك فاخذه
بعض الشعرا فقال

قلبي الى ماض بي داع * يكثر اسقامي واوجاعي
كيف احترازي من عدوي اذا * كان عدوي بين اضلاعي
واذا كانت النفس كذلك فحسن الظن بها ذريعة الى تحكيمها
وتحكيمها داع الى سلاطتها وفساد الاخلاق بها واذا صرف عنها
حسن الظن وتوسمها بما هي عليه من التسويف والمكر فان
طاعتها وانجاها عن معصيتها وقد قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه العاجز
من عجز عن سياسة نفسه وقال بعض الحكماء من ساس
نفسه ساد ناسه فاما سوء الظن بها فقد اختلف
الناس فيه فمنهم من كرهه لما فيه من اتهام طاعتها ورد
مناصحتها فان النفس وان كان لها مكر يردي فلها نصح يهدي
فلما كان حسن الظن بها يعمي عن مساويها كان سوء الظن بها
يعمي عن محاسنها ومن عمي عن محاسن نفسه كان كمن عمي عن مساويها
فلم ينف عنها قبيحا ولم يهد اليها حسنا وقد قال الجاحظ في
كتاب البيان يجب ان يكون في التهمة لنفسه معتدلا وفي حسن الظن
بها مقتصدا فانه ان تجاوز مقدار الحق في التهمة ظلمها فاودعها
ذلة المظلومين وان تجاوز بها الحق في مقدار حسن الظن اودعها
تهاون الامنين ولكل ذلك مقدار من الشغل ولكل شغل مقدار
من الوهن ولكل وهن مقدار من الجهل وقال الاحنف
بن قيس من ظلم نفسه كان لغيره اظلم ومن هدم دينه كان لمجده
اهدم وذهب قوم الى ان سوء الظن بها ابلغ في صلاحها

Copyright © King Saud University

Created with PDFsharp 1.2.1269-g (www.pdfsharp.com)